بحّة..

في رثاء محمد حسن بريغش

بقلم: صالح بن علي الأحمر*
سورية

في برهة من الأيام، وتحت انقاض ظرف ما.. أجد نفسي ملقى على قارعة حنجرتي.. عاجزا حتى عن أداء الدور الطبيعي لحبالي الصوتية.

تتضخم في نفسي المعاني.. تكبر وتكبر وتكبر حتى تتضاءل أمامها أدواتي.. أمسك بتلابيب الأحرف، أعزها.. أراودها أن تقول (أفعل) مما اعتادت.. ترمقني بيأس.. تطرق.. وتترنح، وترشك ان تخذلني.. توشك.. ثم.. تخذلني..! نادتني! من يدي، لتبعثر بين السطور العطشى لكلمة تستحق ان تكتب اليوم!

أعود إلى حبال صوت تلمني/ المي.. ادلكها بزيت الوفاء والحُب.. أسألها أن تتماسك أمام طوفان لم أعهده.. فتهتز نبراتها.. تحاول اختراق جدار الصوت، وتختار مفرداتها المبحوحة من أقصى حدود الأصوات الممكنة.. (لو اختارت أبعد من ذلك لما استطعتم سماعها)!

* * *

محمد حسن بريغش..
عفيف تروق الشمس صورة وجهه
ولو نزلت شوقا؛ لحاد إلى الظل!

ذاك هو الأستاذ الكبير محمد حسن بن علي بريغش، الذي آثر أن يعمل ويعمل بينما يتحدث الكثيرون.. اختار الظل في هذه الدنيا، ثم رحل عنها، ونسأل الله تعالى أن يكسوه إياه في الآخرة.

كنت في الحادية عشرة من عمري عندما طرقت بابه وقدمت له (طفل بلا مأوى).. أول قصة كتبتها.. وكنت في الثالثة عشرة من عمري عندما وضعت بين يديه (في الساحة).. أول قصيدة كتبتها.. ومرت السنون وبقي الأستاذ يرعاني حتى قبيل وفاته بأيام.

....

إذا ظننتم انني أبالغ في الحديث عن أستاذي.. فلعلها إساءة من حيث أردت الإحسان.. فما أنا إلا كشمعة أرادت أن تمدح الشمس فبخستها حقها إذ قاسها الناس بها.. وما أنا إلا أصغر من يحق له الكلام عن الأستاذ أبي حسن.

* * *

ترك أستاذنا محمد حسن أكثر من عشرين كتابا مطبوعا في الدعوة والأدب والتربية.. وقبل حوالي شهر من رحيله - عليه رحمة الله - زاره الأستاذ فهد السنيدي مع فريق من قناة المجد الفضائية، ليستضيفه في برنامج: صفحات من حياتي.. إلا أن تصوير الحلقة توقف بعد أول فاصل، حيث لم يستطع الأستاذ أبو حسن المتابعة بسبب حالته الصحية (كان مصابا بمرض القلب) وأرجئ تصوير الحلقة إلى..

إلى حيث سبق الأجل الأمل، وطويت هذه الصفحة المضيئة لقامة من قامات التربية والأدب والدعوة.

---

* رئيس التحرير العام في شركة (بث) للإعلام، والمجلات التي تصدر عنها وهي: (بث) و(صدى) و (مدى) ، ومشرف برامج المنوعات في قناة المجد الفضائية.